الفصل الرابع

جوامع الكَلِم

هل يستطيع أحدكم أن يُمضي الساعات الأربع والعشرين القادمة من غير أن يتلفّظ بأيٍّ من هذه العبارات:

- ﴿إنْ شاءَ اللهُ﴾ [البقرة: 70].
- ﴿إنّا للهِ وإنّا إليه راجعون﴾ [البقرة: 156].
- ﴿بإذنِ اللهِ﴾ [آل عمران: 49].
- ﴿الحمدُ للّهِ﴾ [الأنعام: 1].
- ﴿اللهُ أَعلمُ﴾ [الأنعام: 124].
- ﴿توكّلتُ على اللهِ﴾ [هود: 56].
- ﴿رحمةُ اللهِ وبرَكاتُه﴾ [هود: 73].
- ﴿ما شاءَ اللهُ﴾ [الكهف: 39].
- ﴿لا قُوّةَ إلّا بالله﴾ [الكهف: 39].
- ﴿سبحانَ اللهِ﴾ [المؤمنون: 91].

أنا لا أخاطب القارئ المسلم، بل أيّ عربيٍّ يتكلّم هذه اللغة، مسلماً أو غير مسلم، إنّ هذا المعجم الثرّ من العبارات القرآنيّة الجامعة قد أضحى جزءاً من حياتنا ولغة خطابنا اليوميّة، من غير أن نعي، ربّما، أنّنا إنّما نتوكّأ في حديثنا على عباراتٍ محضِ قرآنيّة. هذا مع اعترافنا بأنّ العرب من غير المسلمين حاولوا في بعض الأصقاع، وليس كلّها، أن تكون لهم، أحياناً وليس دائماً، تعبيراتهم اليوميّة الخاصّة غير المستمدّة من القرآن، وربّما كان

ذلك من قبيل الحفاظ على شخصيّتهم اللغويّة الدينيّة، كإحلال نصارى الشام في عامّيتهم تعبيراتٍ مثل (يكثّرْ خيرْ أللّه) أو (نشكرْ أللّه) محلّ التعبير القرآنيّ (الحمدُ لله) وكقولهم (إذا أللّهْ رادْ) بدلاً من (إنْ شاء الله).

الجوامع القرآنيّة في لغتنا اليوميّة:

كان من أهمّ ما أحدثه القرآن في اللغة العربيّة من تغيير، وما يزال يُحدثه حتى الآن، انتقالُ عباراتٍ ومتّكآتٍ لغويّةٍ كثيرةٍ منه إلى ألسنتنا، بحيث غدونا نردّدها في أحاديثنا اليوميّة من غير أن نَعِي أحياناً حقيقة أصولها، أو ندرك قوّة تأثيرها ومدى تغلغلها في لغتنا. إنّنا لم نعد نستطيع أن نتصوّر حياتنا اليوم من غير ما مثّلنا به قبل قليلٍ من عبارات، أو من مثل هذه العبارات القرآنيّة الأخرى السائرة على كثيرٍ من الألسن:

- ﴿إنّ اللهَ غَفورٌ رحيمٌ﴾ [البقرة: 173].
- ﴿ولكمْ في القِصاصِ حياةٌ﴾ [البقرة: 179].
- ﴿ولا تُلْقُوا بأيديْكُم إلى التَهلُكَةِ﴾ [البقرة: 195].
- ﴿يَرزُقُ مَن يشاءُ بغيرِ حِسابٍ﴾ [البقرة: 212].
- ﴿عسى أنْ تَكرَهوا شيئاً وهو خيرٌ لكمْ﴾ [البقرة: 216].
- ﴿كمْ مِنْ فئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً بإذنِ اللهِ﴾ [البقرة: 249].
- ﴿لا إكراهَ في الدينِ﴾ [البقرة: 256]
- ﴿خاويةٌ على عُروشِها﴾ [البقرة: 259].
- ﴿قال أوَلمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلَى ولكنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي﴾ [البقرة: 260].
- ﴿ولا هُمْ يَحْزَنون﴾ [البقرة: 262 وغيرها].
- ﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نفْساً إلّا وُسْعَها﴾ [البقرة: 286].
- ﴿وتلكَ الأيّامُ نُداولُها بينَ الناسِ﴾ [آل عمران: 140].
- ﴿حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ﴾ [آل عمران: 173].
- ﴿اِستغفِرِ اللهَ﴾ [النساء: 106].

- ﴿ما على الرسولِ إلّا البلاغُ﴾ [المائدة: 99].
- ﴿لا تَسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لكمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: 101].
- ﴿عليكمْ أنفسَكمْ﴾ [المائدة: 105].
- ﴿رضيَ اللهُ عنهمْ﴾ [المائدة: 119].
- ﴿سبحانَه وتعالى﴾ [الأنعام: 100].
- ﴿ولا تَبخَسوا الناسَ أشياءَهمْ﴾ [الأعراف: 85].
- ﴿وما رَمَيتَ إذْ رَمَيتَ ولكنّ اللهَ رَمى﴾ [الأنفال: 17].
- ﴿قُلْ لنْ يُصيبَنا إلّا ما كَتَبَ اللهُ لنا﴾ [التوبة: 51].
- ﴿إذا جاءَ أجَلُهُمْ فلا يَستأْخِرونَ ساعةً ولا يَستَقدِمون﴾ [يونس: 49].
- ﴿إلّا مَن رَحِمَ ربُّكَ﴾ [هود: 119].
- ﴿وشَهِدَ شاهدٌ مِن أهلِها﴾ [يوسف: 26].
- ﴿ما أَنزَلَ اللهُ بها مِن سُلطانٍ﴾ [يوسف: 40].
- ﴿حاجةً في نفْسِ يعقوبَ﴾ [يوسف: 68].
- ﴿وفوقَ كلِّ ذي عِلْمٍ عليمٌ﴾ [يوسف: 76].
- ﴿إنّ اللهَ لا يغيّرُ ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفُسِهمْ﴾ [الرعد: 11].
- ﴿لئنْ شَكرتُمْ لأَزيدَنّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].
- ﴿وجادِلْهمْ بالتي هي أحسَنُ﴾ [النحل: 125].
- ﴿فَلا تقُلْ لهما أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23].
- ﴿قُل كلٌّ يَعملُ على شاكلتِه﴾ [الإسراء: 84].
- ﴿وليَ فيها مآرِبُ أُخرَى﴾ [طه: 18].
- ﴿وقُلْ ربِّ زِدْنيْ عِلْماً﴾ [طه: 114].
- ﴿خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَل﴾ [الأنبياء: 37].
- ﴿وما أرسلناكَ إلّا رحمةً للعالَمِين﴾ [الأنبياء: 107].
- ﴿وما جَعلَ عليكمْ في الدّينِ مِن حَرَجٍ﴾ [الحجّ: 78].

obeikan.com

- ﴿هذا مِنْ فَضْلِ ربّي﴾ [النمل: 40].
- ﴿واللهُ على ما نقولُ وكيلٌ﴾ [القَصص: 28].
- ﴿وما تَدري نفْسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ﴾ [لقمان: 34].
- ﴿ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أخرَى﴾ [فاطر: 18].
- ﴿إنّما يخشى اللهَ مِن عِبادِه العلماءُ﴾ [فاطر: 28].
- ﴿ولا يَحِيقُ المَكْرُ السيِّءُ إلّا بأهلِه﴾ [فاطر: 43].
- ﴿قُلْ هل يَستوي الذين يَعْلَمون والذين لا يَعْلَمون﴾ [الزُّمَر: 9].
- ﴿وأُفوِّضُ أمريْ إلى اللهِ﴾ [غافر: 44].
- ﴿ورَفعْنا بعضَهمْ فوقَ بعضٍ درجاتٍ﴾ [الزُخرُف: 32].
- ﴿العِلْمُ عندَ الله﴾ [الأحقاف: 23].
- ﴿سِيماهُم في وجوهِهمْ﴾ [الفتح: 29].
- ﴿إن جاءكمْ فاسقٌ بنبإٍ فتَبيّنوا﴾ [الحُجُرات: 6].
- ﴿لا يَسْخَرْ قومٌ مِنْ قومٍ عسى أنْ يكونوا خيراً منهمْ﴾ [الحُجُرات: 11].
- ﴿إنّ بعضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجُرات: 12].
- ﴿وجعلْناكُمْ شُعوباً وقبائلَ لِتَعارَفوا إنّ أكرمَكمْ عندَ اللهِ أتقاكُمْ﴾ [محمد: 13].
- ﴿هل جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ﴾ [الرحمن: 60].
- ﴿لِمَ تقولون ما لا تَفعلون﴾ [الصفّ: 2].
- ﴿مَنْ يَتّقِ اللهَ يَجعَلْ له مَخْرَجاً. ويَرزُقْه مِنْ حيثُ لا يَحتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2-3].
- ﴿لا يُسْمِنُ ولا يُغْني مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: 7].
- ﴿عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلَمْ﴾ [العلق: 5].
- ﴿وأمّا بنعمةِ ربِّكَ فحدِّثْ﴾ [الضحى: 11].
- ﴿إنّ معَ العُسرِ يُسراً﴾ [الشرح: 6].

إنّها من "جوامع الكَلِم" التي رسخت في ذواكرنا اللغويّة فلم نعد نستطيع الاستغناء عنها، فهي تَختصر بكلماتٍ قليلةٍ بليغةٍ مواقفَ وأفكاراً يحتاج

وصفُها أو التعبيرُ عنها إلى شرحٍ طويلٍ ربّما لن يؤدّي في النهاية ما تؤدّيه العبارة القرآنيّة البليغة والمركّزة.

يروي البيهقيّ في (شُعب الإيمان) عن أبي شهابٍ في معنى الحديث الذي رواه الشيخان "بُعِثْتُ بجوامعِ الكَلِم" قال:

> بلغني أنّ "جوامعَ الكَلِم" لأنّ الله يجمع له الأمورَ الكثيرة، التي كانت تُكتَب في الكُتب قبله، في الأمر الواحدِ والأمرَين.. ومن ذلك قولُه تعالى "خُذِ العفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عنِ الجاهلين" (الأعراف: 199) فإنّها جامعةٌ لمكارم الأخلاق، لأنّ في أخْذِ العفو: التساهلَ والتسامح في الحقوق، واللِّينَ والرفق في الدعاء إلى الدِّين، وفي الأمر بالمعروف: كفَّ الأذى وغضّ البصر وما شاكلهما من المحرّمات، وفي الإعراض: الصبرَ والحِلم والتُؤَدَة"[1].

وانظر إلى قوله تعالى، وقد أراد أن يجسّد ضعف الإنسان، المغترّ بقوّته، فصوّره لنا، وهو المخلوق القويّ الكبير، يُخفِق في استنقاذ ما يمكن أن تسلبه منه ذبابة، وهي المخلوق الحقيرالضعيف، فيخرج لنا بهذه الجامعة من جوامع الكَلِم:

- ﴿ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب﴾ [الحجّ: 73].

أو قوله تعالى مبيّناً أنّ أهمّية العقاب لا تقلّ خطورةً عن أهمّية الثواب، لأنّ قتل مجرمٍ واحدٍ يمكن أن ينقذ آلاف البشر:

- ﴿ولكمْ في القِصاصِ حياةٌ﴾ [البقرة: 179].

ويذكر السيوطي أنّ هذه العبارة القرآنيّة الجامعة "فُضِّلتْ على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى، وهو قولهم: (القتلُ أنفَى للقتل) بعشرين وجهاً أو أكثر" ويعدّد السيوطي هذه الأوجه العشرين، ويفصّلها بشكلٍ مقنعٍ ومثيرٍ للاهتمام حقاً[2] .

---

(1) السيوطيّ، جلال الدين. **الإتقان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ج2، ص107.
(2) المرجع السابق، ج2، ص109 وما بعدها.

نحو قاموسٍ قرآنيٍّ وآخر نبويٍّ لجوامع الكلِم:

ولو أحصينا مثل هذه العبارات القرآنيّة الجامعة والموجزة والبليغة، وصنّفناها تصنيفاً علميّاً خاصّاً تبعاً لمعانيها، لحصلنا على قاموسٍ من جوامع الكَلِم يُغْني لغتنا العربيّة ويمدّها بثروةٍ أدبيّةٍ وفكريّةٍ لا حدود لها، وهذا في الحقّ جزءٌ من أهداف هذه الدراسة، وهو ما يسري أيضاً على الحديث الشريف.

فالرسول ﷺ الذي "بُعِث بجوامع الكلم" له معجمه اللغويّ الخاصّ، المختلف تماماً عن المعجم القرآنيّ، وقد أصبحت "جوامعُه النبويّة" أيضاً على ألسنتنا وجزءاً من قاموس لغتنا اليوميّة. وهل تستطيع اللغة العربيّة أن تتجرّد بعد الآن من مثل هذه العبارات النبويّة التي لم يعد معظم العرب يجدون بديلاً مُغْنياً عنها في كتاباتهم وأحاديثهم:

- ﴿الله أكبر﴾
- ﴿رِفقاً بالقوارير﴾
- ﴿كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيّتِه﴾
- ﴿دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبُك﴾
- ﴿اِعقِلْها وتوكَّلْ﴾
- ﴿إنّما الأعمالُ بالنيّات﴾
- ﴿الدِّينُ النّصيحة﴾
- ﴿خَيْرُكم خَيْرُكم لأهلِه﴾
- ﴿اِفعَلْ ولا حَرَج﴾
- ﴿لِيُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ﴾
- ﴿اللهُ عَزَّ وجَلّ﴾
- ﴿كاسياتٍ عارياتٍ﴾
- ﴿ألا هل بلّغْتُ﴾
- ﴿ضَلّوا وأضَلُّوا﴾

- ﴿يَسِّروا ولا تُعسِّروا﴾
- ﴿بَشِّروا ولا تُنفِّروا﴾
- ﴿كما تَدينُ تُدان﴾
- ﴿الحلالُ بَيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ﴾
- ﴿مَن وقعَ في الشُّبُهاتِ وقعَ في الحَرام﴾
- ﴿الحياءُ مِن الإيمان﴾
- ﴿حجٌّ مبرورٌ﴾
- ﴿خيرُ الأمورِ الوَسَط﴾
- ﴿لا فضل لعربيٍّ على أعجميّ﴾
- ﴿الناسُ سَواسيةٌ كأسنان المَشط﴾
- ﴿إنّ أمْرَ المؤمنِ كلُّه خير﴾
- ﴿عامداً متعمّداً﴾
- ﴿أنتم السابقون ونحن اللاحقون﴾.

ولكنّ ما يستهدفه هذا البحث هو العبارات القرآنيّة التي جرت على الألسنة مجرى الأمثال، فغدونا نستشهد بها في شتّى مجالات الحياة. فإن لم تصل بعدُ إلى هذه المرحلة فإنّها تصلح لأن تجري مجرى الأمثال، ويكون دورنا في هذه الدراسة، بل جزءٌ من هذا الدور، هو التنبيه إليها والدعوة إلى استخدامها، مع الإشارة إلى مواقعِ هذا الاستعمال ومناسباته ومجالاته، ما دامت قد توافرت فيها شروطُ العبارة السائرة، وما دامت تشكّل إضافةً جديدةً منحها القرآن الكريم لقاموسنا التعبيريّ، وهو ما يمكن أن يشكّل في المستقبل معجماً معنويّاً مستقلاً يضمّها بين دفّتيه.

ومن أهمّ الشروط التي تتوفّر عادةً في مثل هذه العبارات؛ الوضوح، والاختصار، وبساطة التعبير، وخفّة الجريان على اللسان، وقابليّة النقل من الخاصّ إلى العامّ، فلا تنحصر العبارةُ في واقعةٍ معيّنةٍ تختصّ بها ثمّ لا تتجاوزها إلى غيرها.

ورغم أنّ هذه الشروط متوفّرةٌ في آلافٍ من التعبيرات القرآنيّة، فإنّ كثيراً منها ما يزال في منأىً عن الألسنة أو الأقلام.

وكثيراً ما يجري بعض هذه العبارات على ألسنة الخاصّة أو ربّما خاصّة الخاصّة، تبعاً لدرجة ثقافتهم اللغويّة والقرآنيّة، ولكنّها لا تجري على ألسنة الناس جريان العبارات الأخرى، كما في هذه الجوامع:

- ﴿فاستبِقوا الخيراتِ﴾ [البقرة: 148] (للدعوة إلى الخير والصدقة)
- ﴿ومن تطوَّعَ خيراً فإنّ اللهَ شاكرٌ عليم﴾ [البقرة: 158] (للتذكير بالأجر)
- ﴿تقطّعتْ بهمُ الأسبابُ﴾ [البقرة: 166] (لوصف التفرّق والحيرة والضياع)
- ﴿أخذتْه العِزّةُ بالإثم﴾ [البقرة: 206] (لوصف المكابرة والعناد)
- ﴿على شَفا حُفرةٍ﴾ [آل عمران: 103] (للتخويف من اقتراب أمر)
- ﴿فإنّ ذلك مِن عَزْمِ الأمور﴾ [آل عمران: 186] (لإكبار عملٍ عظيم)
- ﴿وأُحضِرتِ الأنفسُ الشُحَّ﴾ [النساء: 128] (لوصف البخيل)
- ﴿فقُطِع دابرُ القوم﴾ [الأنعام: 45] (لوصف الهزيمة النكراء)
- ﴿الله أعلمُ حيث يَجعلُ رسالتَه﴾ [الأنعام: 124] (للتذكير بحكمة الله وعجزنا عن فهمها)
- ﴿طائرُكم معكم﴾ [الأعراف: 131] (للردّ على من يحاول إلباسنا تهمة هو أولى بها)
- ﴿أَخْلَدَ إلى الأرض﴾ [الأعراف: 176] (للمغرور بنعمة المال أو النجاح)
- ﴿لا يُجلّيها لوقتها إلّا هو﴾ [الأعراف: 187] (لعدم القطع بأمرٍ غيبيّ)
- ﴿ولو تواعدْتُم لاختلفتُم في الميعاد﴾ [الأنفال: 42] (للّقاء مصادفةً من غير ميعاد)
- ﴿لا يَرقُبون في مؤمنٍ إلّاً ولا ذِمّةً﴾ [التوبة: 10] (للتحذير من الظالم)
- ﴿بَعُدَتْ عليهمُ الشُقّة﴾ [التوبة: 42] (لتيئيس من يطمع بأمرٍ بعيد المنال)
- ﴿هل يستويان مَثَلاً﴾ [هود: 24] (لإبراز الفرق الكبير بين شخصين أو أمرين)

- ﴿لا يعلمُهم إلّا اللهُ﴾ [إبراهيم: 9] (للتعبير عن جهلنا بأمرٍ أو إنسان).

إنّ أكثر هذه العبارات الجامعة بعيدٌ حتى الآن عن ألسنة العامّة، ولا بدّ من التنبيه إلى أهميّتها والإشارة إلى المواقع المحتملة لاستخدامها في أحاديثنا، وهذا ما أخذنا به أنفسنا في القسم التطبيقيّ من هذا البحث.

وتنتشر (جوامع الكلِم) في سوَر القرآن الكريم بكثرةٍ تتيح للمتحدّث أو الكاتب بالعربيّة أن يغني حديثه بها، وقد قرأ معظمنا قصّة الأعرابيّة التي كانت تأبى أن تتحدّث مع الناس إلّا بعباراتٍ قرآنيّة.

اللفظ الجامع:

أضفى القرآن الكريم على بعض الألفاظ أو العبارات ظلالاً معنويّةً، من خلال استخدامه الخاصّ لها، لم تكن تملكها قبل القرآن. فلم يعد أحدنا بقادرٍ على استخدام اللفظ (قَبِيلَ) مجرّداً من ظلاله القرآنيّة، فيقول مثلاً عن ضيف عزيزٍ جاءه مع رفاقٍ له: جاءني هو وقَبيلُه؛ إذ لا مفرّ لذهن الضيف، لو سمع العبارة، من أن يسترجع حالاً السياق القرآنيّ الذي يربط هذا اللفظ بالشيطان، وذلك في الآية:

- ﴿يا بَني آدمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أَخرجَ أبويكمْ منَ الجَنّةِ يَنزِعُ عنهما لباسَهما لِيُرَيَهما سَوءاتِهما إنّه يَراكُمْ هو وقَبِيلُهُ مِن حيثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27].

ولا يستطيع أن يقول لهذا الضيف الصديق: عندي ثلاثة ضيوف ورابعهم أنت؛ أو: عندي خمسةٌ وسادسهم أنت، أو: عندي سبعةٌ وثامنهم أنت، إذ لا مناص أمام الصديق من أن يستحضر ذهنه الآية التي تربط هذه الألفاظ العدديّة الترتيبيّة بالكلب الذي رافق أصحاب الكهف، فكأنّما هو، في الجملة الجديدة، بموضع ذلك الكلب:

- ﴿سيقولون ثلاثةٌ رابعُهم كلبُهم ويقولون خمسةٌ سادسُهم كلبُهم رَجْماً بالغيبِ ويقولون سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم﴾ [الكهف: 22].

ولا يستطيع أحدنا أن ينصح جماعةً بالتأكّد من صحّة خبرٍ وصلهم بقوله

(فتبيّنوا) من غير أن يكون قد ألقى بالظلال القرآنيّة لهذا اللفظ على من نقل إلى القوم هذا الخبر، فكأنّه يضفي على هذا الناقل صفة (الفسق) التي رافقت اللفظ (تبيّنوا) في القرآن:

- ﴿يا أيّها الذين آمنوا إنْ جاءكمْ فاسقٌ بنبإٍ فتبيّنوا﴾ [الحجرات: 6].

هذه الظلال المعنويّة الجديدة للألفاظ والعبارات القرآنيّة لا تقلّ أهمّيةً وخطورةً عن جوامع الكلم التي أدخلها القرآن في معجمنا التعبيريّ، بل ربّما كانت أوسع تأثيراً وأعمق نفوذاً إذا أُحسِن استخدامها والإفادة من شحنتها التعبيريّة الفائقة.

جوامع الكلِم في (المدّثّر):

فإذا حاولنا استخلاص جوامع الكلم وحدها، دون العبارات أو الألفاظ ذات الظلال، من سورة (المدّثّر)، تلك التي طالما أجرينا عليها تطبيقاتنا اللغويّة في الفصول السابقة، فبإمكاننا الخروج بما لا يقلّ عن خمسٍ وثلاثين جامعةً نسردها فيما يلي، مع ما نقترحه لمجالات استعمالها، مع التأكيد على أنّ تلك المجالات تظلّ مفتوحةً لكثيرٍ من المعاني والمواقف الحياتيّة التي لا يستطاع حصرها في مقالةٍ أو بحثٍ أو زمانٍ أو مكان:

- ﴿قمْ فأنذِرْ﴾ (تُقال للحثّ على الإسراع بعمل شيء)
- ﴿وربَّكَ فكبِّرْ﴾ (يقولها من يستعظم أمراً أو يَهمّ به)
- ﴿وثيابَكَ فطَهِّرْ﴾ (نقولها لمن ننصحه بطهارة الثوب أو النفس)
- ﴿والرُجْزَ فاهجُرْ﴾ (لمن ننصحه بترك معصية)
- ﴿ولربِّكَ فاصبِرْ﴾ (لمن نعزّيه بأمرٍ أو نستحثّه على الثبات والصبر)
- ﴿فذلك يومَئذٍ يومٌ عسيرٌ﴾ (للتحذير من عقوبةٍ أو حَدثٍ قادم)
- ﴿وجعلتُ له مالًا ممدوداً﴾ (لتحذير مَن لم يُقدّر نِعَم الله عليه)
- ﴿ومهّدتُ له تمهيداً﴾ (لتحذير مَن غرّه نجاحٌ أو ربحٌ)
- ﴿ثمّ يطمعُ أن أزيدَ﴾ (لتأنيب من لم يقدّر صنيعاً ثمّ يطلب المزيد)

- ﴿سأرهقُه صَعوداً﴾ (للتهديد بالعقاب الشديد)
- ﴿فقُتِل كيف قَدَّرَ﴾ (لمن أصدر حُكماً جائراً)
- ﴿عبَسَ وبَسَرَ﴾ (لوصف المغضَب الحانق)
- ﴿أدبرَ واستكبَرَ﴾ (لمن تصرّف بعجرفةٍ وغطرسة)
- ﴿سأُصْليه سَقَرَ﴾ (للتذكير بعقاب الله)
- ﴿وما أدراكَ ما سَقَرُ﴾ (للتحذير من شدّةٍ، أو لوصف شخصٍ قاسٍ)
- ﴿لا تُبقي ولا تَذَرُ﴾ (لوصف شخصٍ أو سُلطةٍ شرهةٍ أو مدمِّرة)
- ﴿في قلوبِهم مرضٌ﴾ (للمتشكّكين وضعاف النفوس)
- ﴿ماذا أراد اللهُ بهذا مَثَلاً﴾ (للتعجّب من أمرٍ وقع ونجهل الحكمة منه)
- ﴿يُضلّ اللهُ مَن يشاءُ ويَهدي مَن يشاءُ﴾ (للتعجّب من اختلاف أمر الناس)
- ﴿وما يَعلمُ جنودَ ربِّك إلا هو﴾ (للتعجّب من نجاحٍ أو فشلٍ غير متوقَّع)
- ﴿وما هي إلّا ذكرى للبشَرِ﴾ (للإشارة إلى نُذُر أمرٍ وشيك)
- ﴿إنّها لَإحدى الكُبَرِ﴾ (للإشادة بأمرٍ عظيم، أو التنديد بأمرٍ قبيح)
- ﴿نذيراً للبَشَرِ﴾ (تقال إنذاراً وتحذيراً)
- ﴿لمَن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخّرَ﴾ (للحثّ على العمل والاجتهاد)
- ﴿كلُّ نفسٍ بما كسبَت رهينةٌ﴾ (لتأكيد المسؤوليّة الشخصيّة)
- ﴿ما سلَككم في سَقَرَ﴾ (لمن نلقاه وقد نال ما استحقّه من عقاب)
- ﴿وكنّا نخوضُ مع الخائضين﴾ (لتحذير أصحاب الألسنة الطويلة)
- ﴿حتّى أتانا اليقينُ﴾ (نقولها لوفاة ظالمٍ أو متكبّر، أو لنَيله جزاءه)
- ﴿فما تنفعهم شفاعةُ الشافعين﴾ (للتيئيس من التوسّط لمذنبٍ)
- ﴿فما لَهم عن التذكرةِ مُعْرِضين﴾ (للتشنيع على من لا يسمع النصح)
- ﴿كأنّهم حُمُرٌ مستنفِرةٌ﴾ (لوصف من يفرّ من معركةٍ أو لا يسمع لنصيحة)
- ﴿يريدُ.. أن يُؤتَى صُحُفاً مُنَشَّرةً﴾ (لمن يطلب طلباتٍ تعجيزيّة، أو يطلب ما لا يستحقّه)

- ﴿بل لا يخافون الآخرةَ﴾ (لوصف الظالم أو السيّء)
- ﴿إنّه تَذكِرةٌ﴾ (للوعظ والتذكير)
- ﴿إلّا أنْ يشاءَ اللهُ﴾ (حين نَعِد بشيءٍ لا نضمن أن يتحقّق).

حجم المواقع التجديديّة في (المدّثّر):

وقبل الخروج من هذا الجزء من الكتاب، من المهمّ أن نذكّر بأنّنا لو أضفنا ما اكتشفناه من جوامع الكلِم في (المدّثّر) إلى كُتل التجديد الكبيرة الأخرى التي سبق أن اكتشفناها في هذه السورة، من ألفاظٍ ومصطلحاتٍ وتراكيب وتعبيراتٍ وعلاقاتٍ لغويّةٍ وبيانيّةٍ، ومن صورٍ جديدة، ومواقع لغويّةٍ منفتحة، فضلاً عن السبائك القرآنيّة الجديدة، وهو ما يزيد في مجموعه عن (300) موقعٍ في سورةٍ لا يتجاوز عدد ألفاظها (256) لفظاً، أدركنا حجم الثورة التجديديّة التي أحدثها نزول القرآن الكريم في اللغة العربيّة، وأبعاد الصدمة التي تلقّتها نفوسهم وآذانهم حين استمعوا إلى هذه اللغة السماويّة الجديدة وهي تتنزّل عليهم أوّل مرّة.

وإذا كان استعمال أديب العربيّة الكبير مصطفى صادق الرافعي للتعبير الجديد (أمّا قبل) قد أحدث في نفوسنا حين قرأناه تلك الهزّة العجيبة، وهو لا يعدو أن يكون موقعاً واحداً في رسالةٍ طويلة، ضمن كتابٍ كبير، فأيّة هزّةٍ يمكن أن يحدثها القرآن في نفوس العرب وهو يفاجئهم بما لا يقلّ عن مائةٍ وخمسين موقعاً جديداً في كلّ صفحةٍ من صفحاته الكريمة؟!

هذا ما سيحاول الإجابة عنه بالتفصيل القسم التطبيقيّ التالي من هذا البحث، الذي سنفتتحه بدراسةٍ تطبيقيّةٍ عامّةٍ نُجريها على نموذجٍ متوسّط الطول من سوَر القرآن الكريم، وهو سورة (فاطر)، لنبدأ بعد ذلك بسورة (الفاتحة) تتلوها سورة (الناس) ثم (الفلق) وهكذا رجوعاً مع السور الكريمة حتّى سورة (التين).

وبعد...

فإنّ الخوض في الحديث عن القرآن، أيّاً كان هذا الحديث، هو نوعٌ من الخوض في مياه المحيط وأنت لا تعرف السباحة. فأنّى لنا نحن البشر الصغار الضعاف أن تصل أيدينا القصيرة الواهية إلى تلك الأغوار البعيدة النائية للتعبير الإلهيّ المطلق واللامتناهي، فتكشف عن مكنوناته وأسراره؟

نعم، يجب أن أعترف الآن، وأنا في نهاية رحلتي الأولى لدراسة الإعجاز التجديديّ في لغة الكتاب لأتهيّأ للإبحار في آفاق سوَره الكريمة، سورةً بعد سورة، وآيةً بعد آية، أنّها كانت "مغامرةً" إنسانيّةً استكشافيّةً ضعيفةً قاصرة، مهمّا تزيّت بزيّ العلم والموضوعيّة. إنّ كلّ تناولٍ بشريٍّ لهذه اللغة السماويّة المعجزة لن يستحقّ أن يوصف بأكثر من "مغامرة". كيف ونحن نعترف بعجزنا وضعفنا أمام التعبير الإلهيّ الكامل الذي لا يأتيه الباطل ولا النقص ولا الوهن ولا الخطأ من بين يديه ولا من خلفه.

وإن كان من شفيعٍ لنا فيما أقدمنا عليه من الانفلات من قيود اللغويّين والنحويّين والبلاغيّين والمفسّرين، وقد أثقلتْ حركتنا، وحَدّتْ من تفكيرنا، من غير أن يقصد أصحابها إلى ذلك، للانطلاق في فضاءٍ غير فضاءاتهم، والسفر في مدارٍ مختلفٍ عن مداراتهم، فلعلّ هذا الشفيع أن يتقدّمنا يوم القيامة: إخلاصاً لكتاب الله، وصدقَ سعيٍ للوصول إلى بعض حقائقه، واكتشافِ ما لا ينقضي من عجائبه وأسراره، وإيماناً لا يتزعزع بأنّه تنزّل على رسولٍ صادقٍ أمينٍ من عند خبيرٍ عليمٍ حكيم.

ربّنا لا تؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أو أخطأْنا، ربّنا ولا تَحْمِل علينا إصراً كما حَمْلتَه على الذين مِنْ قَبْلِنا، ربَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقةَ لنا به، واعْفُ عنّا، واغفِرْ لنا، وارحمْنا، أنتَ مولانا فانصُرْنا على القومِ الكافرين.